دور الأندلس فى النهضة الأوربية

فى ميدان الفلسفة

بحث مقدم من

أ.د/ آمنة محمد نصير

أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة الأزهر

وعميدة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

«دور الأندلس في النهضة الأوربية»
في ميدان الفلسفة

حالة أوربا قبل الفتح الاسلامى للأندلس:

يقتضينا عنوان البحث أن نلمس حياة أوربا قبل أن يصل اليها نور الأندلس بحضارته، فقد شاع التخلف، وانتشر الجهل في تلك العصور، فمنذ سقوط الدولة الرومانية الغربية في أواخر القرن الخامس للميلاد غطت أوربا في نوم عميق دام بضعة قرون من الزمان، قيل انها وصلت الي ألف عام، كان نصفها الأول في عصر الآباء منذ القرن الخامس حتي العاشر، وكان نصفها الثاني فى عصر المدرسيين، حاولت فيه أوربا أن تبدد الظلام وتنفض عن نفسها مظاهر التخلف الذي استولي عليها في هذه الحقبة الطويلة، وجاهر مؤرخو الفكر بأن أوربا حتي في العصر المدرسي خاصة فيما بين عامى ١٠٠٠و١٣٠٠ كانت بيئة غير صالحة لنشأة العلم واختلفت فيها كل مقومات المظاهر الهامة من حياة الانسان.

عاشت أوربا في ظلام وهمجية وقسوة، وفشت فيها الأمية، وقلت المدارس وعز الحصول علي الكتب وانتشرت الفوضي في الجامعات، وشاع فساد الأخلاق، وقامت فيها الحروب والاعمال الوحشية، حتي الكتاب المقدس كان لايكاد يوجد خارج الأديرة، والقيام بنسخة يقتضي عاما، ولذلك كان ثمنه

باهظ، لايقوى على اقتنائه الا القلة النادرة حتى رجال الدين قل من كان يستطيع أن يحرز نسخة كاملة. ويعبر **رينود** «*REINOUD*» فى كتابه **«تاريخ غزوات العرب»** عن حال أوربا بأنها: «افترستها الفوضى وطحنتها المحن **«فهى»** غاصة فى فتن كقطع الليل المظلم»

ويواصل حديثه فيقول: «كانت حياة الناس تعسة وشاقة وكئيبة تموج دنياهم بالمناكر والسيئات وهم عليها مقيمون وبها يتعاملون، بل لعلهم غدوا بذلك يتفاخرون ويتنافسون، وأضحي هذا الحال عاما وعلي كل مستوي واطار».

وتجسدت هذه الصورة واضحة في الهبوط الانساني العام في جنبات الحياة المختلفة، وكان ملموسا في غاراتها علي الشرق الاسلامي خلال قرنين من الحروب الصليبية أو مثيلاتها في الغرب الاسلامي وبدت ظواهر هذا الهبوط في الفكر والعلم والثقافة والخلق وأسلوب التعامل والالتزام بالقيم والعهود، ويعبر صاحب «حضارة العرب» «اوبون» عن ذلك فيقول: «ودامت همجية أوربا البالغة زمنا طويلا من غير أن تشعر بها، ولم يبد في أوربا بعض الميل الي العلم إلا فى القرن الحادي عشر، وفى القرن الثاني عشر من الميلاد، وذلك حين ظهر فيها أناس رأوا أن يرفعوا أكفان الجهل الثقيل عنهم فولوا وجوههم شطر العرب **(المسلمون)** الذين كانوا أئمة وحدهم».

ويؤكد على هذا المعنى المؤرخ الأوربى **«لين بول»** فيصف أوربا ويقارنها بحضارة الأندلس الاسلامية فيقول «تظهر المقابلة جلية غريبة بين حضارة الاندلس وغيرها من المدن اذا ذكرنا أن أوربا كلها في هذا العهد كانت غارقة في حمأة من الجهل وخشونة الأخلاق».

ويصرح كذلك بأن «قرطبة العظيمة التى كانت أعجوبة العصور الوسطي والتي حملت وحدها فى الغرب الثقافة والمدينة مؤتلقة وهاجة، وقت أن كانت

أوربا غارقة في الجهالة البربرية، فريسة للشقاق والحروب».

هذه هى الصورة لأوربا التى نقلها لنا المؤرخون الغربيون قبل اتصالها بحضارة الأندلس التى فتحها المسلمون فى أوائل القرن الثامن الميلادى، وقضوا فيها نحو سبعة قرون، أقاموا حضارة عظيمة لاتقل عن حضارة المشرق الاسلامى انذاك، واتصلوا بالمسيحين اتصالا وثيقا، أسلم منهم من أسلم، وبقى اخرون على دينهم فى تعايش سلمى، برغم الحروب والمناوشات التي وقعت بين خلفاء المسلمين وملوك قشتالة، وكانت طليطلة أول مدينة أندلسية سقطت فى أيدي ألفونس السادس ملك قشتالة عام ١٠٨٥م، وهى دون نزاع أكبر مركز انتقلت منه الثقافة الاسلامية الي الغرب، فقد أمها طلاب العلم من مختلف مدن أوربا، وكانوا بعد أن يتموا دراستهم يعودون الى أوطانهم لينشروا العلم فيها، فكانت الأندلس مشعل النور في أوربا أمدتها بالعلم والثقافة الاسلامية، وقضت في ذلك نحو ثلاثة قرون.

هذه هى الحقيقة التي نقلها المؤرخون الغربيون أنفسهم فى وصفهم لأوربا قبل وجود الأندلس المسلمة، حينما أضاء العرب نور العلم والمعرفة وقبل أن تخوض فى مناقذ المعرفة ووسائلها لأوربا فنتناول مسألة هامة وحيوية حول استفادة الحضارات من بعضها البعض- والرد على أصحاب الدعاوي العنصرية، ومقولة حصر الفلسفة أو العلم عند جنس بعينه أو أمة دون أمة حتي تصل الى النتيجة الهامة **«أن العلم لاوطن له»** ومن منطلق هذه الحقيقة استفادت النهضة الأوربية بعلوم العرب.

الرد على دعاوي العنصرية:

لقد شاعت مقولة التفرقة بين الأجناس، وتفوق جنس علي جنس، أو وصف جنس بقدرة الابتكار فى مجال التفلس على الجنس الآخر، وقد أفرد

لهذه القضية الكثير من المؤلفات، مما جعل لها رد فعل مضاد علي عدم صدق هذا القول وأنها لا أساس لها من علم أو دراسة مؤسسة علي قواعد يعتد بها.

وهذه النتيجة العلمية للدراسة فى مجال «علم نفس الاجناس» أدت الى الانطلاق الي حقيقة هامة لها جذورها التاريخية ألا وهي: أن الاسرة البشرية منذ أن وجدت وعرفت قواعد العلم والحضارة، وهي تستعين ببعضها البعض، وببطلان دعوى أنه يمكن استخلاص صفات أى شعب ومميزاته الفكرية والعقلية من بيئته الجغرافية أو من الجنس الذي ينتمي اليه، وأصبحت دعوي التفلسف أنها من نصيب جنس دون الآخر دعوي ممقوته ومرفوضه من جانب المنهج العلمى الصحيح.

ورغم هذه الحقيقة العلمية الا أن هناك أصوات رفعت شعار التحزب الجنسي الذي يؤكد تفوق الجنس الآري الابيض على غيره من الأجناس وهكذا تمزقت العلاقات بين الحضارات الانسانية بعضها والبعض الآخر، وأستقلت كل ثقافة عالمية عن غيرها من الثقافات وفي هذه الدعاوي نمت الاحقاد بين الشعوب بعضها والبعض الآخر، وتمزقت العلاقات بين الحضارات الانسانية، بعضها البعض وتمزقت أواصر المودة والتعاون، وتهيأت الظروف لاستعمار الاقوياء للضعفاء.

وقد قاد هذه الحملة من التنكر لالتقاء الثقافات واشعال نار الكراهية بين الشعوب والأجناس، فريق من علماء الغرب والمؤسسات الثقافية التى تتبعهم والتقليل من دور الحضارة العربية فى الأندلس وفاعليتها فى التأثير علي أوربا والاستخفاف من قبل بعض المستشرقين في القرن التاسع عشر، والاصرار على أن الحضارة الأوربية لاتدين بالفضل لغير أجدادهم من اليونان والرومان، والادعاء بأن العرب «بطبيعتهم لم يخلقوا للتفكير الأصيل المبتكر. وقاد حملة التعصب الدينى

والجنسى. هذه فى القرن التاسع عشر أمثال «جيوم تنمان» *Guillaume Tenneman*

«وفكتور كوزان» (١٨٤٧م) *V. Cousin*، «وارنت رينان» (١٨٩٢) *E. Renan*.

ممن كانت الفلسفة العربية عندهم صورة مشوهة للفلسفة اليونانية.

أما جمهرة الباحثين فى القرن العشرين من أمثال «موريس ولف» Mourise Wulf، «وبيكافيه» Picavet - فقد لانت أحكامهم عن الفكر العربي الفلسفي، وأدخلوا فى اعتبارهم ما أنتهى اليه من عناصر أصيلة مبتكرة من وحى العبقرية العربية.

وقد ظهر بعد ذلك التحول فى هذا العصر كتاب سلسلة التراث القديم والوسيط وفى مقدمتهم هذا الفريق الذين شاركوا في «فصول تراث الاسلام» The Legacy of Islamففى هذه السلسلة ربطوا فى دراساتهم بين تراث الماضى والحاضر.

وفى الربع الأول من هذا القرن، قامت فى جامعة أكسفورد حركة جيدة ترمي الى تتسجيل تراث الثقافات القديمة، فبدأت بثقافة اليونان والرومان، وضمت اليها تراث الماضى والحاضر.

كما ضمت اليها تراث القرون الوسطى المسيحية، وتراث اليهودية والاسلام، ثم تابعت السير، وأخرجت تراث الهند، ومصر وفارس. وفي هذه المحاولة كما يصفها د. مدكور جدة وطرافة وجمع وتنسيق، وبحث وتحقيق، قام به نفر من المتخصصين.

وأبرزوا فى هذا العمل العظيم ربط الثقافات بعضها ببعض وتم كشف

التبادل بين الحضارات المختلفة، وحذت جامعة «هارفارد» حذو أكسفورد وأوكلت الى «جورج سارتون» تاريخ العلم منذ نشأته الى اليوم.

وأضطلع «تورندايك» فى جامعة كلومبيا بتاريخ السحر والعلوم التجريبية.

«وجورج سارتون» *George Sarton* (١٩٥٦) المشار اليه آنفا يسفه فى كتبه وأبحاثه الرأي الذي يجعل العلم (أي العلم) خلق مفكر واحد لم يسهم فى انشائه أحد قبله أو يجعل الحضارة - أية حضارة- من صنع شعب واحد لم يسبقه اليها شعب آخر.

وإذا كان مؤرخو العلم من الغربيين يجعلون العلوم الطبيعية والرياضية اختراعا يونانيا لم يسهم فيه أحد قبلهم، فان «جورج سارتون» يقول في تنفيذ هذا الرأي: ان من الضلال أن يقال ان «إقليدس» هو أبو علم الهندسة، وأن «أبقراط» هو أبو علم الطب أو .... فان تاريخ العلم لايعرفه من الآباء الذين لم يولدوا الا أبانا الذي في السموات! «ويندد بما ذهب اليه بعض المؤرخين الذين يرون أن التراث العقلي اليوناني خلق عبقري أصيل، جاء على غير مثال سابق ويسمونه «المعجزة اليونانية» يسفه هذا الرأى ويعتبر أن «المعجزة اليونانية» المزعومة لها أب وأم (شرعيان) أما أبوها فهو تراث مصر القديمة، وأما أمها فهى ذخيرة بلاد النهرين، ويواصل «سارتون» أبحاثه ويعقد مقارنة بين ماسموه بالمعجزة اليونانية، ومايسميه هو بالمعجزة العربية في عصر الاسلام الذهبي - وذلك لأن ماحققه العرب فى المجال العلمي فيما يقول «سارتون» - يكاد يتجاوز حد التصديق.

ونذكر من الباحثين المنصفين في هذا المجال في ظل الدعوة الجديدة التى وضحت معالمها فى هذا العصر وأيدتها هيئة اليونسكو بجهودها ومؤتمراتها حيث أختتم البروفسور «كويلر يونج» *T. Cuyler Young* بحثا له عن «أثر الثقافة الاسلامية فى الغرب المسيحي» بتذكير مسيحي أوربا المعاصرة بالدين الثقافي

العظيم الذي يدينون به للاسلام منذ أن كان أجدادهم فى العصور الوسطي يسافرون الى حواضر الاسلام- فى أسبانيا العربية خاصة- ليتلقوا على أيدي معلميها من المسلمين «الفنون والعلوم وفلسفة الحياة».

ونذكر من العلماء المنصفون أيضا مؤرخ الحضارات **«ول ديورانت»** *W.DURANT* المولود عام **١٨٨٥م** و **«بول ماسون أورسيل»** *P.M.Qursel* أستاذ الفلسفة الشرقية، ومدير معهد الدراسات العليا فى باريس وغيرهما كثيرون.

من منطلق هذه الحقيقة- حقيقة أنه لايوجد من يعتبر نفسه أنه باني لحضارة انفرد بها عن السابقين عليه، نصل الى أن العرب قد تسلموا القبس من بناة الحضارات القديمة منذ منتصف القرن الثامن الميلادى، وقد بقيت فى يدهم بضعة قرون من الزمان يضيئون بنوره حياتهم وحياة من اتصل بهم أو عاش فى ظلهم.

وفى الوقت الذي أوقد فيه العرب شعلة العلم الوضاءة كانت أوربا منذ سقوط الدولة الرومانية الغربية فى أيدي القبائل الجرمانية المتوحشة أواخر القرن الخامس للميلاد.

فى حالة مزرية من البداوة والجهالة والتخلف، وحين أخذت تستيقظ بعد هذا الثبات العميق الذي دام بضعة قرون من الزمان لم تجد أمامها الا حضارة العرب والاسلام التي كانت سيدة هذا الأوان.

ومن خلال هذا الاستعراض السابق ليقظة علماء الغرب في إنصاف التراث العربي الاسلامى، وأن الحضارات الانسانية لاتنفك عن الأخذ والعطاء من. بعضها البعض،

أختم هذه الوقفة بمقولة أ.د/ مدكور فى هذا الصدد: «فالثقافة الانسانية ذات موارد متعددة بين شرقية وغربية، وماأشبهها بنهر جار تصب فيه فروع

مختلفة، وهو فى مجراه يغذى آفاقا جديدة، ويبعث طاقات شابة. وتحرص الحضارات المختلفة على تعرف أمجاد الماضى والأخذ عنها، بصرف النظر عن أصولها ومصادرها، وقديما قالوا: «العلم لاوطن له»

والحقيقة التى نخلص اليها هى أن الثقافة اليونانية أخذت عن الثقافات الشرقية بخاصة المصرية والهندية، والثقافية العربية تمت بنسب الى بعض الثقافات الغربية والشرقية وقد أثرت بدورها تأثيرا واضحا فى الثقافة اللاتينية، ثم امتد أثرها الي النهضة الأوربية. ومن خلال تعدد وتنوع الينابيع وبالتفاعل بعضها البعض، ومن خلال الأخذ والعطاء يزداد مضمونها خصوبة وثراء، وما حضارة اليوم فى أعلى مستوياتها الا حصيلة وحصاد جهود حضارات الأمس، ومؤتمركم هذا صورة مشرقة لبيان التقاء الحضارات وأخذها بيد بعضها البعض الي طريق العلم والتقدم والتأكيد على وحدة الأسرة البشرية وبهذه الروح وبهذا المضمون يمكن للبشرية أن تخطوا أعظم الخطوات في سعادة الانسان فى كل مكان.

موضوعات الفلسفة الاسلامية:

لايخلو الحديث عن دور الحضارة العربية فى الأندلس، وتأثيرها على أوربا من الاستخفاف من قبل بعض الغربيين المتعصبين، والاصرار علي أن الحضارة الأوربية لاتدين بالفضل لغير أجدادهم من اليونان والرومان، وانكار وجود فلسفة عربية اسلامية وإتهام المسلمين بانهم لم يصنعوا شيئا أكثر من أنهم تلقوا دائرة المعارف اليونانية في صورتها التي كان العالم كله مسلما بها فى القرنين السابع والثامن الميلادى، والحقيقة الهامة التى فاتت هؤلاء المنقولين أن الفكر العربي الاسلامي لم يكن أبدا مجرد كوبري انتقل عبره التراث اليوناني إلي أوربا، كما غاب عن هؤلاء أيضا أمرا آخر وهو أن الفلسفة الاسلامية واجهت مشاكل وقضايا شغلت الفلاسفة المسلمون ولم يعرفها اليونان، ولذلك أردت أن أقف على

هذه القضايا، مع بيان أهم الخصائص والسمات التي تحلت بها الفلسفة الاسلامية.

واجه الفلاسفة المسلمون مشكلات جديدة لم تفرض نفسها على أسلافهم، فنجد ابن سينا، والفارابي والكندي وابن طفيل وابن رشد تميزوا بفكر وثقافة اتسمت بها عقولهم وتميز بها فكرهم فى القضايا التي عالجوها بمنهج يبتعد تماما عن الفلسفة اليونانية، فقد عنت الفلسفة الاسلامية لدي هؤلاء الفلاسفة بمشكلة الواحد والمتعدد ومشكلة الألوهية، والبعث والوحي، وصلة المخلوقين بالخالق، وموضوع النبوة ومعضلة النفس وخلودها.

وقد حرص فلاسفة المسلمين على أن يثبتوا أن الوحى والعقل حق، وأنهما يختلفان منهجا ويلتقيان فى نهاية الأمر، بالاضافة الي رأيهم فى الجانب الذي ظهر فيه التأثر شأن حقيقة البشر فى التأثير والتأثر بعضهم ببعض، لم يكن المسلمون مجرد نقلة، بل كانوا في شروحهم للنصوص التى ينقلونها يضيفون اليها من نتائج خبراتهم، وخلاصة تأملاتهم ويبدون من أصالة الفكر ماشهد به المنصفون من المستشرقين أفادوا مما أخذوا، ولكنهم أضافوا، وزادوا، حتي فى المنطق اليوناني، مع أن المنطق بالذات كان له أثره فى العلوم والتعبير والتدليل، وبدا هذا واضحا فى أساليب المتكلمين وتعبيرات الفقهاء، وفى موقف ابن خلدون فى «مقدمته» شاهد صدق علي ذلك.

حقيقة نقل المسلمون عن اليونان، ولكنهم أضافوا وزادوا وأبتكروا، لأنهم كانوا ينظرون بعين الى الثقافة اليونانية وبالعين الأخري الى التعاليم الاسلامية. وظهرت ابتكاراتهم من خلال توفيقهم بين الشريعة والحكمة لدي فلاسفة المشرق والمغرب علي السواء فنجد في المغرب ابن طفيل فى قصته الرائعة «حي بن يقظان» وابن رشد في مؤلفاته «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة

من الاتصال» و «الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة» و **«تهافت التهافت»** وقد تناول ابن رشد ببراعة التوفيق بين الحكمة والشريعة، وبين أن الدين الاسلامى يدعو الى تأمل الكون، والقرآن مليىء بالآيات التى تدعو الى التعقل والتفكر والحكمة يقول ابن رشد: «فأما أن الشرع دعا الى اعتبارالموجودات بالعقل، وتطلب معرفتها به فذلك بين فى غير ما آية من كتاب الله تبارك وتعالى مثل قوله **﴿فاعتبروا يا أولى الابصار﴾** وهذا نص على وجوب استعمال القياس العقلى أو العقلى والشرعى معا. ومثل قوله تعالى: **﴿أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض، وماخلق الله من شيء﴾**

ان الفلسفة عند ابن رشد هي «النظر فى الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع، أعني من جهة ماهى مصنوعات، فان الموجودات انما تدل على الصانع لمعرفة صنعتها. أما الدين مايمكن أن يعرفه عن الله، ومايمكن أن يعرفه عن أمور الشريعة **(مثل الثواب والعقاب فى الحياة الأخرى)** كما تقدم له المعرفة العملية أى معرفة ماينبغى عمله لتحقيق السعادة. وماينبغى الإمتناع عنه لتجنب عقاب الآخرة.

اذن تتفق الفلسفة والدين فى نظر ابن رشد من حيث الموضوع فكلاهما يبحث فى الله والكون والحياة، ولكنهما يختلفان من حيث منهج المعرفة.

ويستكمل ابن رشد حديثه فى قضية التوفيق بين النقل والعقل ببراعة ودقة، وقد استفاد بهذه المسألة رجال الكنيسة فى أوربا سواء فى التفكير الفلسفى أو مانشأ عنها مثل علم الكلام. الى جانب الموضوعات الخاصة بالفلسفة الاسلامية، فقد شاركت سابقتها من الفلسفات القديمة فى معالجة الموضوعات التقليدية القديمة من البحث الأنطولوجي فى الوجود، ولواحقه والايستمولوجي

في نظرية المعرفة، وأدوات العلم بالحقائق والأكسيولوجي في قيم الحق والخير والجمال والسعادة ونحوها من موضوعات تقليدية، وسواء كانت الدراسات الفلسفية من نبع العقلية الاسلامية وعقيدتها، أو الموضوعات التقليدية المعروفة لدي اليونان، فان العقل الفلسفي الاسلامي قدم لأوربا افرازا عظيما أنار لها طريق الفكر والثقافة عبر معابر مختلفة ستكون موضع حديثنا بعد قليل.

خصائص الفلسفة الاسلامية:

تميزت الفلسفة الاسلامية بمزايا وخصائص عن فلسفة اليونان وأول هذه المزايا كما أثرت آنفا أنها فلسفة دينية تقوم على أساس من الدين لأن رجالها تربوا ونشأوا فى أحضان العقيدة الاسلامية، وقد تربي الفلاسفة علي الأبحاث الدينية والدراسات الكلامية التى انتشرت فى ربوع المجتمع الاسلامي، وأصبح وسيلة وسلاحا خطيرا، دافع به المتكلمون والفلاسفة الاسلام بوجه عام أن يدعموا آراءهم باسانيد من الكتاب والسنة، وابن رشد له فى هذا المجال قدم راسخ، ونري الفلسفة الاسلامية ترعى بالدرجة الأولى العناية بدراسة الواحد، وتحلل فكرة الألوهية تحليلا شاملا دقيقا لم تسبق اليه، ودارت الابحاث الفلسفية حول تصوير الباري جل شأنه تصويرا أساسه التجريد والتنزيه، والوحدة المطلقة والكمال التام، وعن الواحد صدر كل شيء، فهو المبدع والخالق، أبدع من لاشيء، وخلق العالم من الأزل ونظمه وسيره، فالعالم معلول له فى وجوده وبقائه، أبدعه بمحض فضله، ورعاه بعنايته، وأخضعه لقوانين ثابته، ونظم حكمه، وعلى هذا الطبيعة، والكسمولوجيا مرتبطتان فى الفلسفة الاسلامية ارتباطا وثيقا بالميتافزيقا.

ونظرة فلاسفة الاسلام الى أن الروح مصدر الحياة والحركة والادراك، ووسيلة البهجة والسعادة، ففى الكائنات الحية نفوس تغذيها وتحركها وتمد بعضها

بالعلم والمعرفة، وللفضائل قيم ذاتية، والحلال بين والحرام بين، وفى وسع العقل البشرى أن يكشف عن ذلك، ولكن الوحى يدعم العقل ويؤيده.

وبهذا الطابع الديني والروحي استطاعت الفلسفة الاسلامية أن تقترب من الفلسفة المدرسية، بل وتتلاقي مع بعض الفلسفات الحديثة والمعاصرة، وماكان لرجال الدين فى القرون الوسطي أن ينكروا فلسفة تقول بالخلق والابداع، وتبرهن علي خلود الروح، وتؤمن بالجزاء والمسئولية، والبعث والسعادة الأخروية، ولقد وصل الأمر «بروجر بيكون (١٢٩٤) أنه كان معجبا بنظرية «الخلافة والامامة الاسلامية» على نحو ماشرحها ابن سينا فى كتاب الشفاء الى حد أنه شاء أن يطلق على البابا لقب «خليفة الله فى أرضه».

ومن خصائص الفلسفة الاسلامية أنها عقلية:

ورغم الجانب الروحى والدينى الذى تتميز به الفلسفة الاسلامية، الا أنها تتحلى بالجانب العقلى، وتعول عليه كثيرا فى تفسير مشكلة الألوهية، والكون والانسان، فواجب الوجود عقل محض، يعقل ذاته بذاته، فهو عاقل ومعقول فى آن واحد، ومنه صدر العقل الأول، فهو أول شيء خلقة الله، وفى سلسلة متلاحقة صدرت العقول الأخرى التى تدبر شئون السماء، فيما عدا العقل العاشر، أو العقل الفعال، الذى يرعى شئون الأرض.

والعقل البشرى قوة من قوى النفس، ويسمي النفس الناطقة وهو ضربان عملى يسوس البدن، وينظم السلوك، ونظرى يختص بالادراك والمعرفة- فهو الذى يتقبل المدركات الحسية، ويستخلص منها المعانى الكلية بعون من العقل الفعال.

وقد انتقلت هذا التيار الى الفلسفة المسيحية وكان فلاسفة الاسلام بوجه خاص حملة رايته، وأثاروا فى القرن الثالث عشر حركة فكرية قوية، فأيدهم

بعض المدرسيين، وعارضهم آخرون ونمت الدراسات العقلية نموا كبيرا، وكانت الدراسات النقلية فى القرون الوسطي أقوي وأغلب، ومن آثار ابن رشد الهامة فى الفكر الأوربي، حينما حمل راية دراسة التوفيق بين العقل والنقل من خلال منهجة الفلسفي العقلي، أدي الي شبه انقلاب فى الحياة الأوربية زعزعت سلطان الكنيسة، وهى من أهم ثمار ابن رشد التي آتت أكلها في الحياة الفكرية فى أوربا. السمة الثالثة للفلسفة الاسلامية: أنها نجحت فى التوفيق بين الفلاسفة بعضهم البعض فقد عرف العرب شيئا من الفلسفات الشرقية القديمة، كما عرفوا شيئا من السابقين لسقراط، والسفسطائيين والسقراطيين، وأنصاف السقراطيين والرواقيين والأبيقوريين، وجماعة الشكاك، ورجال مدرسة الاسكندرية، وعنوا خاصة بأفلاطون وأرسطو، وقام فلاسفة الاسلام في التوفيق بين أفلاطون وأرسطو، وكان يعد هذا التوفيق من الأسس الهامة التى قامت عليها الفلسفة الاسلامية من الكندي الى ابن رشد فى التوفيق بين العقل والنقل.

ويؤكد د. مدكور علي مسألة هامة نتجت من التوفيق الذي حاوله الفلاسفة المسلمون ويعد وشيجة من وشائج القربي بين الفلسفة العربية والفلسفة اللاتينية، فقد أخذ العرب عن أفلاطون ماقربهم من الأوغسطينين، ورجال المدرسة الفرنسيسكانية بوجه خاص، وقد رأي هؤلاء في بعض النظريات الاسلامية مايتلاقي مع آراء ألفوها من قبل، فاستساغوها وأطمأنوا اليها، وفى تعلق فلاسفة الاسلام بأرسطو ماوجه اليه أنظار المسيحيين، وحملهم على ترجمة كتبه، ودفع كثيرين من رجال القرن الثالث عشر الي درسه والتعليق عليه، وبخاصة القديس «توما الأكويني (١٢٧٤م) الذى يعتبر من هذه الناحية بين اللاتينيين بمثابة ابن رشد بين العرب.

أما السمة الرابعة للفلسفة الاسلامية أنها وثيقة الصلة بالعلم ففلاسفة الاسلام جميعا كانوا يعتبرون العلوم العقلية جزءا من الفلسفة، وقد عالجوا

مسائل في الطبيعة، كما عالجوا مسائل فى الميتافزيقا، ومن أوضح الأمثلة على ذلك كتاب «**الشفاء**».

والكندى عالم قبل أن يكون فيلسوفا، عنى بالدراسات الرياضية والطبيعية، وكذلك الفارابي الذي كان له بحوثا فى الهندسة، وعلم الحيل (الميكانيكي) وهو موسيقي كبير، ولم يخرج الأمر عن ذلك فى بلاد الأندلس، فقد كان ابن باجة، وابن طفيل، وابن رشد أطباء وان تفاوتت رتبتهم، وكتاب الكليات في الطب لابن رشد الذى ترجم الى اللاتينية فى منتصف القرن الثالث عشر مثالا جيدا لعرض القضايا الكلية والمباديء العامة.

هكذا وصلت الفلسفة الاسلامية أو نقول المولود الجديد الي أوربا بخصائصه الجديدة من ثراء فى الفكر، والتزام بالعقيدة، التي أتاحت الحرية الكاملة للبحث والتقصى فى جميع ميادين الفكر فى مناخ يتحلي بتقديس العلم والعلماء، أقول فى هذا المناخ الرائع وصلت حضارة الاندلس لأوربا وزعزعت هيمنة وسيطرة الكنيسة علي الانسان الأوربي، فكانت كالزلزال الذي هز كل البناية الأوربية في جميع أنواع العلم والمعرفة.

ميادين الاتصال بأوربا:

قبل أن نمضى فى ابراز دور الترجمة فى النهضة الأوربية، نقف قليلا أمام ميادين ومسالك الاتصال بين العالم العربى الاسلامى الذي كان يمثل فى ذلك الوقت قمة ماوصلت اليه الحضارة الانسانية.

١- أول هذه الميادين وأخطرها هو الاندلس التي فتحا العرب سنة **٩٢هـ (٧١١م)** فكانت بذلك أول قطر يقتطعه العرب من أوربا المسيحية ويضمونه الى دولة الاسلام، ومنذ هذا التاريخ حتى سنة **٨٩٧هـ (١٤٩٢م)** نجد للمسلمين دولة تفاوتت قوة وضعفا واتساعا وضيقا، ولكنها مثلت علي كل

حال وجودا عربيا في هذه القطعة من أوربا وجودا لم ينته بسقوط مملكة غرناطة آخر معاقل الاسلام فى شبة الجزيرة فى سنة (١٤٩٢م) بل استمر بعد ذلك ممثلا فى الموريسكين- أي المسلمين الذين أرغموا على التنصر وهم الذين بقوا في أسبانيا حتي القرن السابع عشر الميلادي حينما تقرر طرد جماعات كبيرة منهم الي الشمال الافريقي، وبدراسة هذه الفترة نجد أنها بلغت من حيث العدد والأرقام طيلة تسعة قرون تقريبا وهى مدة حيوية ونشيطة فى جميع ألوان المعرفة، من ناحية، ومن ناحية أخري كانت مدة كافية لكي يترك العرب في الشعبين الاسباني والبرتغالي من رواسب حضاراتهم، مالايزال سمة وبصمة واضحة لهم حتى اليوم، بل ان أسبانيا بالذات كانت معبرا انتقلت من خلاله الحضارة العربية الي أوربا وأمريكا. بل من المدهش أن في الوقت الذي تحاول أسبانيا القضاء علي بقية الشعب الاسلامي في داخل حدودها، نجد هذا الشعب يقوم بدور كبير خارج حدودها منذ أوائل القرن السادس عشر، فقد استطاعت أن تمد رقعة نفوذها فى اتجاهين: الي القارة الأوربية حينما أقامت امبراطورية ضخمة سيطرت على الشطر الأكبر من أوربا في ظل الأسرة النمساوية، ثم نحو أمريكا هذه القارة الحديثة الاكتشاف سنة (١٤٩٢م) ومن الصدف أن هذا الأكتشاف يلتقي فى فترة سقوط غرناطة في أيدي الملكيين الكاثوليكين، ولم تمض سنوات علي عذا الكشف حتي كانت أسبانيا والبرتغال- وهما مازالتا بعد متشبعين بالحضارة العربية الاسلامية- تقتسمان ملك الشطر الأعظم من القارة الأمريكية من كاليفورنيا فى الشمال الي أرض النار فى أقصي جنوب القارة، وكان من الطبيعي كذلك أن يحمل الفاتحون الاسبان الي العالم الجديد كثيرا مما استقر في دمائهم ونفوسهم . من عناصر عربية في جميع ألوان المعايشة التى عاشوها خلال القرون العديدة في أسبانيا العربية.

الميدان الثانى: لالتقاء الشرق العربي وأوربا كان فى جزيرة صقلية

الشطر الجنوبي من ايطاليا، فقد حدث فى هذا الجزء من أوربا شيء شبيه بما حدث في شبه جزيزة أيبريا، وان كان على نطاق محدود سواء فى الزمان أو فى المكان. فقد بقيت صقلية فى أيدي المسلمين حتي أستولي عليها النورمنديون فى سنة٤٨٤هـ (١٠٩١م) وقد تكررت في صقلية ظاهرة التأثير المتبادل بين الحضارة العربية الاسلامية والأوربية المسيحية علي ماحدث في أسبانيا.

أما الميدان الثالث: الحروب الصليبية التي استمرت من سنة (١٠٩٧م) الى سقوط آخر معاقل الصليبين فى أيدى المماليك فى سنة ١٢٩١، لم تمنع الحروب التى ظلت سجالا بين المسلمين والصليبين على طول هذين القرنين من الاحتكاك المستمر بين الفريقين، وقد أدهشت المفاجأة لأولئك الصليبين الأوربيين أن رأوا أن العالم الاسلامي لم يكن كما يتصورون، بل رأوا أنه علي درجة كبيرة من الرقى والتقدم فى مختلف ميادين الحضارة، وهكذا بدءوا يستفيدون من عالم الاسلام ويأخذون كثيرا من عناصر حضارته.

بعد هذا الحديث علي مسالك الالتقاء بين حضارة العرب والعالم الغربي، تتناول الدور الخطير والهام فى النهضة الأوربية – وهو دور الترجمة.

دور الترجمة فى النهضة الأوربية:

ان نهضة أمة من الأمم يلزمها معرفة حضارة الأمم الأخرى، ويلزم لهذه المعرفة الترجمة لها الى لغة هذه الأمة، هكذا فعل العرب المسلمون ابان يقظتهم فى عصر الاسلام الذهبى أيام بنى العباسى، وهكذا فعلت أوربا في عصر النهضة التي بدأت بالعصر المدرسى، وبلغت ذروتها ابان القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادى. ذلك أن أوربا قد غطت فى نوم عميق منذ سقوط الدولة الرومانية الغربية أواخر القرن الخامس حتى القرن الحادى عشر، وحينما أرادت أن تعود الى ماضيها أدركت أنها لاتجيد لغة هؤلاء الأجداد من اليونان عندئذ عمدت الى

تراث العرب المسلمين الذين كانوا قد نقلوا الى لغتهم تراث اليونان، وجدت فى نقله الى اللغة اللاتينية التي كانت لغة العلم فى أوربا ابان ذلك العصر، حتى تيسر لها أن تعرف لغة أجدادها، وتنقل عنها رأسا من غير وسيط، فاتجهت أوربا الى التلمذة على يد علماء الاندلس، وبدأ ذلك فى حركتين من أوسع حركات الترجمة فى تاريخ النهضات، وبهما استهدفت أوربا نقل التراث العربي الاسلامى الى لغتها العلمية **(اللاتينية)**، وقد بدأت الحركة الأولي في صقلية- وهى تحت الحكم العربي أبان النصف الأخير من القرن الحادى عشر، وأستمر قرنا من الزمان، وكان رائد الحركة قسطنطين الأفريقى **١٠٨٧م**. أما الحركة الثانية فكانت فى أسبانيا، وكانت أوسع نطاقا، وأكثر شمولا، بدأت فى النصف الأول من القرن الثانى عشر وأمتد بضعة قرون من الزمان وكان رائدها المونستير ريموند- *Raymonde* رئيس أساقفة طليطلة، فكان له الفضل فى نقل التراث العربي الاسلامي الى أوربا المسيحية يرجع الي رجل من كبار قساوسة الكنيسة فى وقت أشعلت فيه الكنيسة نيران الحروب الصليبية وقد جمع في طليطلة الكثير من المصادر العربية بفضل اليهود وصلتهم بالطرفين، لاسيما بيع وتجارة المخطوطات، خاصة أنها كانت تجارة رابحة فى هذه الفترة، وأعان علي هذا ألفونس الحكيم ملك قشتالة **(١٢٨٤م)** الذى كان نصيرا للعلم والفلسفة، وكان يريد بالقشتالية أن تصبح لغة عالمية.

وقد مر بطليطلة أغلب المشتغلين بالترجمة، ومنهم من أستقر فيها وأقام بها مثل ابراهيم بن داود الاسرائيلي **(١١٨٠م)** والراهب هرمان الالمانى **(١٢٧٢م)** وجيرار الكريموني **(١١٨٧م)** والمطران دومنيك جند سالينوس **(١١٥٠م)** الذي عن الجانب الفلسفي، واليه يرجع الفضل فى ادخال عدد من فلاسفة الاسلام فى العالم اللاتيني، ولم يقف عند الترجمة، بل ألف وكتب، وكتبه أشبه مايكون بملخصات لبعض الكتب العربية.

أما بلرم عاصمة صقلية فقد نشطت فيها حركة الترجمة فى القرن الثالث عشر تحت رعاية الأمبراطور «فردريك» الثاني الذي شاء أن ينشر الحكمة اليونانية والعلوم الاسلامية، وكان علي صلة بحكام الشرق وولاته، وأستطاع أن يجمع ثروة طائلة من المؤلفات العربية، ولعله قد حصل علي كتب ابن رشد جميعها.

ولايفوتنا أن كثير من فريق المترجمين الذين كان لهم طريق السبق في هذا الميدان «ميشيل اسكوت» (١٢٣٥م) تلك الشخصية شبه الاسطورة التى كانت مملؤة نشاطا وحركة من المترجمات فكان يوزع العمل علي عدد من التلاميذ والأعوان، ثم يتابع نشاطهم ويراجع أعمالهم، وبذا استطاعت «بلرم» أن تترجم لأحسن المؤلفين وعلى رأسهم ابن رشد، وقد حرص الامبراطور على أن يوزع ترجماته على الجامعة الأوربية، رغبة فى نشر العلم وبدافع من منافسة البابا غالبا.

وقد أشاد الباحث الأوربي «جوان أندريس» *Juon Andrea* بفضل العرب علي الحضارة الأوربية إذ نشر فى أوربا بالايطالية فى سبعة مجلدات تحت عنوان: أصول كل الآداب وتطورها وأحوالها الراهنة، ثم أعاد نشرها في روما منقحا موسعا بين سنتى (١٨٠٨)، (١٨١٧) فى ثمانية مجلدات وفيه أكد أن النهضة التى قامت فى أوربا فى كل ميادين العلوم والفنون والآداب والصناعات مردها الي ماورثته عن حضارة العرب.

وكان البابا سلفستر الثاني (١٠٠٣م) قد قام برحلة الي الأندلس فتأثر بالعلم العربى تأثيرا بالغ العمق، ولاسيما فى الرياضيات ولعله أول مسيحي قام بتعريف أوربا بالأرقام العربية الأسبانية التى كان ينقصها الصفر وقتذاك. وقد ازدهرت فى هذه الفترة الحياة العقلية فى الأندلس، وكان يمثل التفكير

الفلسفي فى القرن الحادي عشر كل من ابن جيبرول اليهودى (١٠٥٨م) وابن باجه، وابن طفيل وابن رشد.

ونتناول بايجاز شديد ماتم ترجمته من قبل أوربا فى مجال الفلسفة بالذات، والذي أثمر فى تكوين العقلية الأوربية، وكان له دورة فى النهضة الأوربية- خاصة أن الفلسفة كما أشرنا من قبل ملازمة للعلم، وأن فلاسفة الاسلام، كانوا علماء وأطباء، وفلاسفة. فقد عرف اللاتين الكندي أولا كعالم، ثم كفيلسوف، وقد ترجم له أربع رسائل صغيرة هي:-

١- فى العقل ٢- فى ماهية النوم والرؤيا.

٣- فى الجواهر الخمسة ٤- فى البرهان المنطقى

وعرفت أوربا عن طريق الأندلس من علماء المشرق الفارابى وكانت معرفته أوضح لدي اللاتين عن الكندي، وأن لم يترجم من كتبه الفلسفية حسب عملنا الا «احصاء العلوم» و «مقالة فى العقل» وقد ناقش هذا الكتاب مشكلة العقل أو مشكلة المعرفة، التى تعتبر احدي مشاكل الفلسفة المسيحية الكبري التى أسهم فيها الفارابي وابن سينا بنصيب كبير.

والكتاب الثالث «التنبيه الي السعادة» ومن المعروف أن كبار مفكري القرن الثالث عشر من المسيحيين عرفوا الفارابى، وكثيرا ما أشار اليه «ألبير الكبير» و«روجر بيكون» وكأنهم أدركوا تلاقي آرائه مع آراء تلميذه ابن سينا، وطغي التلميذ علي الأستاذ هنا كما طغى عليه عند العرب.

وقد عنى اللاتين عناية فائقة بابن سينا خاصة موسوعته الفلسفية «الشفاء» وقد ترجمت هذه الموسوعة على مرحلتين، مرحلة مبكرة فى النصف الثاني من القرن الثاني عشر، ومرحلة لاحقة بعدها بنحو مائة سنة.

وقد تم ترجمة كتاب الغزالى **«مقاصد الفلاسفة»** على آيدى جند. سالينوس، وكان لهذا الكتاب الفضل فى فهم الفلسفة الاسلامية عند الأوربيين.

كما نجد آثار كتاب الغزالى **«تهافت الفلاسفة»** والذى ترجم متأخرا فى أخريات القرن الخامس عشر- واضحة عند القديس توما الأكويني خاصة فى كتاب «الخلاصة فى الرد على الأمم».

وعرفت أوربا ابن باجة أول فلاسفة الاندلس الكبار، وان لم يقفوا عنده طويلا الا عند رسالته فى «الاتصال» التى أشار اليها «ألبير الكبير» وهى بدورها تنصب على مشكلة المعرفة التى شغلت مفكري القرن الوسطي عامة ولم تصلهم رسالته **«تدبير المتوحد»** ولم تترجم الى العبرية الا فى القرن الرابع عشر.

وابن طفيل فقد ترجمت قصته الفلسفية الرائعة **«حى بن يقظان»** فى القرن السابع عشر **(١٦٧١م)**.

أما ابن رشد الذى كان أكبر فلاسفة الاسلام حظا من الترجمة اللاتينية فقد ترجمت شروحه علي أرسطو بصورها المختلفة، من صغيرة وكبيرة وتلخيصات، ويبلغ عدد هذه الشروح نحو ٣٨ شرحا، ترجمت على مرحلتين الأولي فى القرن الثالث عشر، وعول فيها علي الأصول العربية، والثانية في القرن السادس عشر، وقامت كلها علي العبرية حيث تمسك اليهود بفلسفة ابن رشد ورعايتهم لها، فجمعوا كل مصادرها وترجموها الى العبرية، وكانوا واسطة بينها وبين الفلسفة المسيحية، فقد أسهموا في الحركة الفلسفية فى القرون الوسطي، وابان عصر النهضة ويمكن أن يقال أن فلسفتهم كانت رشدية خالصة. وقد أعانت هذه الترجمات على نشر المذهب الرشدى فى الغرب.

ومن الجدير بالذكر ألا نغفل دور مفكري اليهود الذين ربطوا الشرق بالغرب، فقد عاشوا فى العالم الاسلامي، وتأثروا به، ثم ترجمت مؤلفاتهم الى

اللاتينية، فكانوا همزة وصل بين الثقافتين الاسلامية والمسيحية، وفى مقدمتهم ابن جيبيرول صاحب «نبع الحياة» وموسى ابن ميمون صاحب **«دلالة الحائرين»**.

وقد أعتبر الأول عند المسيحيين مسلما حينا ومسيحيا حينا آخر، ونفذت آراؤه الى رجال القرن الثالث عشر، وهى مستمدة من الفكر الاسلامى، وكم من آراء ونظريات اسلامية انتقلت الي الغرب عن طريق مفكرى اليهود.

وقد أصبح من الثابت أن «روجر» الذى يعتبر الجد الأعلي للمنهج التجريبي الذي قال به **«فرنسيس بيكون»** وهو بدوره تلميذ مخلص لابن سينا، ونذكر بدور جامعة بادوا التى تعتبر آخر معقل لابن رشد والرشدية قد قامت بدراسات فلسفية وطبية لابن رشد مهدت للحركة العلمية الحديثة.

وقد أثارت الفلسفة الاسلامية فى العالم اللاتينى مشاكل شتى، وحكمت العقل فى أمور كثيرة، ووضعت طائفة من القضايا الدينية موضع البحث والتحليل، فعرضت لخلق العالم وقدمه، وحقيقة النفس وخلودها، وحاولت أن تفسر الوحي والالهام تفسيرا علميا، وكانت آراؤها موضع أخذ ورد، وتأييد ومعارضة، وشاءت الكنيسة أن تتدخل فى هذا البحث الطليق فتضيف من حدود، وتفرض علي أبنائها آراء معينة، وتتدخل بالتحليل والتحريم، وتتحكم فى البحث والدرس، وهناك من استجاب، وآخرون لم ينزلوا عند أمرها، ووجدوا فى بلاط «فردريك الثاني» ملجأ ونصيرا علي البحث والاستمتاع بالحرية فى الرأي، وقد حاول بعض رجال الدين أمثال **«ألبير الكبير»**، و **«توما الأكوينى»** و **«دنس اسكوت»** أن يوفقوا بين العقل والنقل كما صنع فلاسفة الاسلام وعلى رأسهم ابن رشد، فنجد تلميذه المخلص **«سيجر البرينتى»** Siger de Barabant **(١٢٨١)** كان مثالا حيا فى التحرر من سلطة الكنيسة، حيث أطلق العنان

للتحرر العقلى، ولأسف كان ثمن ذلك أنه دفع حياته فقد قتل علي أيدي شماسة.

ورغم حادثه **«سيجر البرينتى»** لم يمنع الرشد بين من أن يسيروا فى طريقهم طوال القرنين الرابع عشر والخامس عشر من أن يقودوا حركة أضعفت الكنيسة، وكانت من عوامل الاصلاح الدينى، ومهدت لحرية البحث والدراسة التى امتازت بها النهضة الأوربية.

ولم تكن حادثه «سيجر» الوحيدة من نوعها فقد تعذب الكثير وقتل من جراء الاشتغال بالفلسفة والعلم فى أوربا مما حفلت به كتب التاريخ ونذكر «هرمان فان رزويك» الكاهن الهولندي الذى أحرق بتهمة الهرطقة فى لاهاى سنة **(١٥١٢م)** وقد كان هذا الكاهن من تلاميذ ابن رشد.

ورغم الهجوم على ابن رشد من قبل بعض الأوربيين، الا أنهم نهلوا من تراثه، فنجد المستشرق «أزين بالاسيوي» أفرد كتابا خاصا بين فيه العناصر الاسلامية التى أخذها **«توماس الأكوينى»** عن فيلسوف قرطبة، وأن كتب ابن رشد خاصة **«تهافت التهافت»** وكتاب «مناهج الأدلة» كانت معروفة حق المعرفة لدي رجال الدين من طائفة **«الدومنيكان»** وهى الطائفة التي ينتمي اليها «توماس الأكويني» كما أن «ريموند مارتان» أحد ثمانية من جماعة الدومينكان - تلك الجماعة التى أرسلها رئيس كنيسة طليطلة الى بلاد المغرب لدراسة اللغة العربية وكتب الفلسفة والدين.

ويبين **«أسين بلاسيوس»** بأدلة حاسمة، ونصوص عديدة أن كثير من نظريات «ريموند مارتان» مأخوذة عن ابن رشد مثال ذلك نظريته فى العلم الالهي، والاصلاح الدينى، وقد مهدت لحركة البحث والدراسة التى تميزت بها حركة النهضة الأوربية.

ويشيد بهذا الدور «لويجى رينالدى» فى بحثه **«المدنية العربية فى الغرب»** قال «ومن فضل العرب علينا أنهم هم الذين عرفونا بكثير من فلاسفة اليونان» وكانت لهم الأيدي البيضاء علي النهضة الفلسفية عند المسيحيين.

ويشيد **«لويجى رينالدى»** بدور ابن رشد، ويعتبره هو المبتدع مذهب «الفكر الحر» وهو صاحب الكلمة المأثورة عند موته «تموت روحى بموت الفلسفة».

ويضيف العالم الانجليزي «جون روبرتسون» في كتابه «تاريخ وجيز للفكر الحر» الى ماسبق ذكره فى حق ابن رشد.

«ان ابن رشد أشهر مفكر مسلم لانه كان أعظم المفكرين المسلمين أثرا وأبعدهم نفوذا فى الفكر الأوربى».

ولابن رشد فضل لاينكر على «روجر بيكون» الذي استفاد منه الكثير وذكره فى كتابه اللاتيني «أبوس ماجوس» وأثني عليه وعلى مواهبه وسعة علمه وقال «أنه فيلسوف متين متعمق صحح كثيرا من أغلاط الفكر الانساني، وأضاف الي ثمرات العقول ثروة لايستغني عنها بسواها وأدرك كثيرا مما لم يكن قبله معلوما لأحد، وأزال الغموض من كثير من الكتب التى تناولها ببحثه.

ونستطيع أن نقول إن ارتباط الفلسفة الاسلامية بالبحث العلمي، ساهم فى وضع أسس المنهج التجريبى، وأثرى الحركة العلمية فى جامعة أكسفورد، كما حاول بعض رجال الدين مثل «ألبير الكبير» و «توما الأكوينى» و «دانزسكوت» أن يوفقوا بين الشريعة والحكمة كما صنع فلاسفة الاسلام وعلى رأسهم ابن رشد.

الخاتـمة

وهكذا وصلنا الى نهاية هذه الجولة التى أكدنا فيها علي عدة قضايا فى علاقة الأندلس ودورها فى النهضة الأوربية فى مجال الفلسفة والتى أنتهينا فيها الي حقائق تمت عن طريق منهج المقارنة والتحليل وأثبتنا أن العلم لاوطن له، وسقوط نزعات التعصب المقيت من قبل بعض علماء الغرب ضد الفكر الاسلامي وتراثه سواء عن قصد وسوء نية أم عن جهل بتراث الاسلام ودوره فى مسيرة التحضر فى أوربا، هذا من ناحية، ومن ناحية أخري انتحال كثير من المترجمين للتراث الاسلامى لانفسهم أو اخفائه تماما فى غمرة التعصب الذي استبد بالفرنجة فى أوربا الغربية.

- أن الأسرة البشرية منذ الأزل أخذت وأعطت من بعضها البعض، وأن من يتصور بأنه من أصحاب الحضارة المنفردة أو المنقطعة من جذور سابقة، فهو واهم، ولا أساس له من علم أو حقيقة واقعية.

- بينا مدى قيمة وفاعلية دور الترجمة فى اثراء حضارة الشعوب بعضها البعض، وأن الترجمة وسيلة عظيمة وفعالة فى إلتقاء الحضارات الانسانية لتزود أصحاب النفوس المتعطشة للعلم والمعرفة، وقد كان لحركة الترجمة فى بلاد الأندلس عظيم الأثر والفاعلية فى تحرير العقل الأوربي من الجهل والاستبداد، وتزويدهم بأهم أسس وقواعد النهضة- وقد استمرت حركة الإحياء عن طريق الترجمة خمسة قرون من الزمان.

-وأيضا عن طريق الترجمة، حفظت الأصول اليونانية عند العرب ووجهت الأنظار الأوربية لها، وكان نتيجة ذلك أن تكون جيل يلم باللغات

الأجنبية، وأنشئت معاهد لتعليم العربية واليونانية، فأسست في طليطلة مدرسة لتعليم العربية والعبرية، وفيها تخرج **«ريمون مارثان»** الدومنيكان الذى كان على اتصال بالقديس توما الأكوينى.

وبعد ذلك بقليل استطاع «ريمون لول» **(١٣١٦م)** أن يقرر مبدأ تخصيص كرسي للغات الأجنبية فى الجامعات الأوربية.

-أوضحنا دور الفلسفة الاسلامية فى تحريك العقلية الأوربية، وتحريرها من استبداد الكنيسة. حتى وان كان الثمن باهظا وفى سبيله دفعت الأرواح.

-أصبح من الواضح عند الانسان المعاصر فى مؤتمراته، وأبحاثه ومؤسساته العلمية حقيقة هامة وهى أن الثقافات الكبري تتفاعل بعضها مع البعض، ومن خلال الأخذ والعطاء يزداد المضمون خصوبة وثراء.

- وأن النهضة الأوربية لم تخرج عن قانون النهضات الانسانية الأخري، فقد استفادت بالحضارة العربية الاسلامية فى جميع وجوهها، وعلى رأسها العلوم العلمية والفلسفية.

- كفل حكام العرب التسامح الديني، وبسطوا رعايتهم علي أهل العلم من جميع الملل، وقد حذا ملوك الأسبان حين استردوا بلادهم حذو العرب فى كفالة التسامح مع من ليسوا من أهل ملتهم، فقد كانوا يقاتلون العرب، وهم يجلون علماءهم ويكنون الاعجاب بحضارتهم، وكان هذا التأثير أمرا عظيما يستحق التسجيل.

أخيرا عندي تسجيل لموقف، ثم رجاء.

أما تسجيل الموقف فهو يدور حول انبهار فريق من علماء العرب بحضارة الغرب انبهارا ينسيهم أية معنى أو قيمة لتراث الاسلام، ولبصمات رجاله

في الحضارة الغربية.

أما الفريق الثانى وهو عكس ذلك فهو يعادي الغرب وكل مايأتي من عنده خيرا كان أو شرا، فهو كله شرور، وفي بعض الأحيان يصل الي مرتبة الحرام، ولهذا الفريق وذاك نقول:- إن الحضارة الغربية الآن أصبحت لها مكانتها العلمية العظيمة، ودورها فى تطور الحياة التكنولوجية بصورة رائعة، ولكن ليس معنى ذلك أن الانسان العربى ينسحق تحت هذه المشاعر، وأذكر بأن مقومات العالم الاسلامى نفسه كانت من القواعد الاساسية لبناء هذه النهضة، وعلي الانسان العربى أن يستعيد نفسه، ولديه من المقومات المادية والمعنويةما تساعده علي استعادة مكانته السابقة، واللحاق بما يليق به فى هذه الفترة الحالية، وماحضارة اليوم الاحصاد زرع الأمس.

أما الرجاء: فهو ألا نقف طويلا عند الذكريات والحديث عن أطلال الأمس، وأن نوظف الذكريات الى عمل بخطوات قوية وسريعة، لأن الموقف عند حد الكلام أمر مؤسف ويؤدى الى الخجل.

مصادر البحث

دكتور/ ابراهيم مدكور: فى الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيق الجزء الثاني.

دكتور/ أحمد أمين: ظهر الاسلام - الجزء الثالث.

دكتور/ توفيق الطويل: فى تراثنا العربي الاسلامى.

تراث الاسلام: الجزء الأول- الثانى عالم المعرفة.

دكتور/ عبد الرحمن بدوى: فلسفة العصور الوسطي - دار القلم.

دكتور/ عبد الرحمن على الحجى: التاريخ الأندلسي - من الفتح الاسلامى حتى سقوط غرناطة - دار القلم - دمشق.

دكتور/ محمد قاسم: ابن رشد وفلسفته الدينية سلسلة الدراسات الدينية.

دكتور/ محمد لطفي جمعة: تاريخ فلاسفة الاسلام فى المشرق والمغرب المكتبة العلمية.